٦ العدالة والحرية

obeikandl.com

obeikandl.com

العدالة والحرية

يكاد المفكرون يتفقون على أن العدالة هي القيمة الأعلى في منظومة القيم في الحضارة الإسلامية، وفي ثقافة المجتمع المسلم، فعلى العدل كما نقول قامت السماوات والأرض، وفي نص القرآن: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾، يقابلها في الحضارة الغربية قيمة الحرية بوصفها أعلى قيمة في هرم القيم الغربي، بل إن الساسة الغربيين إذا أرادوا أن يحشدوا، أو أن يجيشوا شعوبهم على عدو خارجي اتهموه بأنه يهدد حريتهم، ويجادل بعض المفكرين بأن الحرية إذا طبقت بشكلها الصحيح فهي تجلب معها العدالة، ومن ثم تتحقق هاتان الفضيلتان.

ويحيل الغربيون أصل قيمة الحرية إلى إرثهم اليوناني في أثينا القديمة، فيرجعون هذه الفضيلة العظمى عندهم إلى الحضارة الهيلينية.

يعتقد كثير من أبناء المجتمع العربي المسلم، أن الحرية التي يقدمها الغربيون هي تلك التي تُعنى بالجوانب الشخصية كحرية اللباس والعلاقات، غير أن الحقيقة أن هذا الجزء ليس هو الأكثر أهمية، بل إن المجتمعات الغربية تعلي من قيمة الحرية السياسية، وهي الضاربة في أعماق العقلية الغربية، ودفعت تلك المجتمعات أثماناً باهظة من أرواح أبنائها لتحقيق هذه الفضيلة وحمايتها.

من هذه القيم العليا تنحدر كثير من القيم الفرعية والسلوكيات الاجتماعية، بل الأنظمة والقوانين، وقد سألت أحد أساتذة القانون في جامعة هارفرد في أثناء محاضرة عن : «خيار الرجوع عن الصفقات في حال ما إذا ثبت وجود غبن كبير فيها؟»، فأجابني بطريقة حاسمة بأنه لا مجال مطلقاً لمثل هذا الأمر مهما كان مقدار الغبن،

فأخبرتـه عن وجود تشريع «خيار الغبن» في شريعتنا الاسـلامية الذي يكفل للطرف المغبون وفق ضوابط وشروط الحصول على سـعر عادل لبضاعته أو اسـترادادها، وقد ارتبط في ذهني هذا الأمر مع منظومة القيم، فإن كانت الحرية هي القيمة الأعلى، فلن يكـون هنـاك مجال لخيار الغبـن، وفي الثقافة التي تضع العـدل في المرتبة الأعلى لن تقر حصول ظلم واضح في أي صفقة ما، بحجة تحقيق الحرية لطرف ما مع ما يسبب ذلك من الظلم لطرف آخر، وفي هذا تجسـيد لروعة الروح الإسلامية في التعاطي مع ملفّي العدالة والحرية في إطار إنساني.

obeikandl.com